

أضواء البيان

@ 298 لأن الجميع يحيط بهم الهلاك من كل جانب ، كما قال تعالى : { لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ } ، وقوله : { لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ } ، وقوله : { إِنَّ زَكُومًا وَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } . وقال ابن الأعرابي : كل شيء حاجر بين شيئين يسمى موبقاً ، نقله عنه القرطبي . وبما ذكرنا تعلم أن الضمير في قوله (بينهم) قيل راجع إلى أهل النار . وقيل راجع إلى أهل الجنة وأهل النار معاً . وقيل راجع للمشركين وما كانوا يعبدونه من دون الله . وهذا هو أظهرها لدلالة طاهره السياق عليه ، لأن الله يقول : { وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ } ثم قال مخبراً عن العابدين والمعبودين : { وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَّوْبِقًا } أي مهلكاً يفصل بينهم ويحيط بهم . وهذا المعنى كقوله : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ } . أي فرقنا بينهم . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَيَوْمَ يَقُولُ } قرأه عامة السبعة ما عدا حمزة بالياء المثناة التحتية ، وقرأه حمزة (نقول) بنون العظمة ، وعلى قراءة الجمهور فالفاعل ضمير يعود إلى الله ، أي يقول هو أي الله . قوله تعالى : { وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنْ زَكَّاهُمْ مَّوْءَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن المجرمين يرون النار يوم القيامة ، ويظنون أنهم موافقوها ، أي مخالطوها وواقعون فيها . والظن في هذه الآية بمعنى اليقين ؛ لأنهم أبصروا الحقائق وشاهدوا الواقع . وقد بين تعالى في غير هذا الموضع أنهم موقنون بالواقع ؛ كقوله عنهم : { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا نَحْنُ مُوقِنُونَ } ، وكقوله : { فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } ، وقوله تعالى : { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُ تَوْنُنَا } . ومن إطلاق الظن على اليقين تعالى : { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّ زَكَّاهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ زَكَّاهُمْ مَّوْءَاقِعُوهَا } أي يوقنون أنهم ملاقوا ربهم . وقوله تعالى : { قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ زَكَّاهُمْ مَّوْءَاقِعُوهَا } كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَابَتِ ° فِئَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ ° مَعَ الصَّابِرِينَ { . وقوله
تعالى : { فَأَمَّا ° مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ ° بِيَمِينِهِ ° فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَؤْهُ °
كِتَابِي ° إِنْ زِلِّي طُنْتُ ° أَنْ زِلِّي مُلَاقِ